

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences



طرق واساليب العلاج الطبي النفسي للإحداث الجانحين

الدكتور جمال ماضي ابو العزائم

الرياض

1410 هـ - 1990 م

طرق وأساليب العلاج الطبي النفسي للأحداث الجانحين

الدكتور جمال ماضي أبو العزائم^(*)

المقدمة:

كان ينظر لجنوح الأحداث في الماضي قبل القرن العشرين نظرة بعيدة عن المرض النفسي، حيث أن هذه المشكلة كانت مسئولية الأب وحده يتعامل مع الحدث ويضع لها الحلول وإذا لم يستطع لها حلا كان الحبس أو السجن هو الطريق البديل لعلاج المشكلة.

وكان الطبيب يتدخل في العلاج إذا ظهرت أعراض ثانوية مثل علاج الصرع المصاحب في بعض الأحيان الى الالتهابات المخية أو اضطرابات الهرمونات.

وكان نتيجة ذلك أن عرفت هذه الظاهرة بالجنون الأخلاقي Moral Insanity وكان يرجع السبب الى خلل أخلاقي أو ضعف في التنبيه Ethical Defect أو ضمور الأخلاق Ethical Degeneration أو المولود المجرم.

(*) مدير مستشفى الدكتور جمال ماضي أبو العزائم - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

وقد تغيرت النظرة العلمية لجنوح الأحداث مع بدء القرن العشرين، وبدأ الطب النفسي يساهم في علاج هذه المشكلة، واتسع البحث العلمي حول مراحل نمو ونضوج شخصية الجانح وتطورت النظرة القانونية الجافة الى استبصار جديد بدور التربية والمؤثرات الاجتماعية والوسط الذي يربى فيه الجانح والمبادئ السائدة في مجتمعه.

وبدأ التخطيط لعلاج المشكلة واعادة تكيف الجانح مع المجتمع ورسم مستقبله وتذليل العقبات المحيطة به وتهيئة موقف نفسي جديد لشخصية الحدث قابل للتغير لما هو أفضل له ولمجتمعه.

ويمكن تحديد سلوك الحدث في مستويات أربعة:

١ - سلوك يرضي الحدث ويكون مقبولا نفسياً، وهذا السلوك لا يحدث مشكلة للفرد أو المجتمع.

٢ - سلوك قد لا يحقق احتياجات الحدث، ولكنه مقبول اجتماعياً، وهذا السلوك قد يؤدي الى اضطراب داخلي جسدي ونفسي.

٣ - سلوك يرضي الحدث ولكنه غير مقبول اجتماعياً وهذا يشكل مشكلة سلوكية جنوح أو جريمة.

٤ - سلوك لا يرضي الفرد أو المجتمع، وهو يؤدي الى الاضطراب النفسي أو العقلي.

وتكمن مشكلة الأحداث الجانحين في اتخاذ السلوك الذي لا يرضاه المجتمع والذي يصعب على المجتمع أن يعدل منه سريعاً، بل إن الأسرة كثيراً ما تساعد على ثبات هذا السلوك لدى الأحداث لأساليب يرى الجانحون إنهم غير مرغوب فيهم وإنهم لا يحصلون على اشباع احتياجاتهم ودوافعهم المختلفة وعندئذ يضطربون ويظهر الجنوح ويستفحل.

العلاجات الطبية النفسية:

وأحاول في هذا البحث التحدث عن الآتي:

١ - الوقاية في ظلال الأسلوب الاسلامي .

٢ - التشخيص المبكر .

٣ - الأساليب الطبية .

٤ - الأساليب النفسية .

٥ - الأساليب التأهيلية .

٦ - علاج الأسرة .

٧ - دور المجتمع .

الأسلوب الاسلامي:

يكثر الأحداث الجانحون بين أحداث المدن ويقبلون الى

أبعد درجة في القرى والريف، ويقبلون كذلك في الأسر التي يقوم الأب والأم بدور إيجابي متكامل في التربية، والتي تهتم ليس فقط بالتربية الاجتماعية بل التي تعطي للتربية الدينية دورها، خاصة تعليم الصلاة مبكراً، والحرص على استمرار هذه العملية التي ترسخ المبادئ وتجعلها سلوكاً، والأسر التي تعدل في معاملة الأولاد ولا تميز بينهم، وكل هذه وغيرها حقائق وقاها الأسلوب الاسلامي التربوي حقها وجعلها علامات مميزة وأمر بها وجعلها ليست فقط وظيفة للأب والأم والمجتمع، ولكنه زاد عن هذا الدور فجعلها شعائر إيمانية يجب أن تكون سلوكاً للمؤمن . . . وعدد من آيات القرآن قد قرنت بين الإيمان والعمل، فنجد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . .﴾^(١) هذه الآية تضيف جمالاً على الإيمان وهو يقترن دائماً بتنفيذ ما يؤمن به ونظيره سمة سلوك وعمل .

واهتم الاسلام بالأسرة وتكوينها وتحدث عن حقوق أفراد الأسرة وواجباتهم، وركز الأضواء على اختيار الزوج لزوجته وعلى فترات الحمل وحقوق الأم وواجباتها، وكذا الزوج، وعلى التربية في الأيام الأولى واهتم بالرضاعة من ثدي الأم وطالب بتفرغ الأم لعملية الرضاعة والتربية وأعطاهم حقوقاً هامة وحملها واجبات تربوية هي والأب .

١ - سورة الكهف . الآية : ١٠٧ .

وتعد التربية الاسلامية للنشء مثالا يحتذى به لبلوغ
الأطفال سن النضوج، كل ذلك نتيجة التربية الاسلامية
النفسية للنشء.

التشخيص المبكر:

وكلما تمكنت الأسرة من تشخيص حالات الجنوح مبكراً
كلما سهل العلاج الجسمي والنفسي.
وقد تطورت رعاية الطفولة تطوراً هائلاً، وذلك بعد أن
أصبح التخصص الطبي النفسي لرعاية الاطفال تخصصاً قائماً
بذاته وظهر أن التخصص متعدد الأغراض وأنه يجب على
تساؤلات عديدة ويعطي علاجاً ناجعاً للكثير من المشاكل
الجسمية التي تصيب الأطفال وخاصة المشاكل النفسية.

وطبيب الأطفال النفسي هو الطبيب الوحيد الذي يقوم
بالكشف على أفراد آخرين عندما تعرض عليه مشكلة الحدث،
فهو يقوم بالكشف على الأب والكشف على الأم وتقويم حالتها
النفسية وحالتها الاجتماعية وأسلوب التربية، ويتم تشخيص
حالة الحدث قبل أن يقوم بالكشف عليه ويضع العلاج،
وكثيراً ما يكون العلاج موجهاً في الأصل الى الأب والأم إذ أن
أسلوب أبائهم أسلوب غير سوي، ويعود اصلاح ذلك
السلوك مباشرة على صحة الأطفال الجسمية والنفسية، كل

ذلك نتيجة التشخيص المبكر ونتيجة استبصار الآباء لحقائق علمية جديدة على أطفالهم متى ينضجون، والأعراض المبكرة للأعراض المختلفة.

الأساليب الطبية:

والتشخيص السليم للجناح خاصة من الناحية العصبية هام جداً لذا وجب فحص الجناح عصبياً حتى يبين الفاحص سلامة الجهاز العصبي، إذ ربما كان الصراع الكامن سبباً في الجنوح، وهنا يقوم جهاز رسم المخ الكهربائي بدور في التشخيص أو ربما تكون الغدد الصماء عاملاً مؤثراً على السلوك، وهنا يعمل المعمل على التشخيص الحقيقي، أو ربما كأن يكون الجهاز العصبي المركزي غير سوي، وهنا يقوم جهاز رسم المخ بالكمبيوتر Cat Scanning ببيان حقيقة الحالة، أو ربما كانت المشكلة نتيجة مرض الكروموزومات (الأمشاج) ويتم ذلك عن طريق فحص الأمشاج، لذا وجب الفحص الدقيق ثم وصف العلاج الطبي حسب الحالة التي شخصت.

الأساليب النفسية:

وهو العامل الهام في العلاج وينقسم الى:

١ - علاج نفسي فردي.

٢ - علاج نفسي جمعي (وجمعي أسري).

٣ - علاج سلوكي.

٤ - التمثيلية النفسية.

وتخطيط البرنامج اليومي للحدث له أثر كبير في نجاح العلاج، بحيث يسلك الحدث الجانح برنامجاً يومياً ويعاود سلوكه حتى يكون نموذجاً لحياته.

وأرى أن يكون ذلك البرنامج جامعاً لكل أساليب العلاج التي تحدثنا عنها وحاوياً للنشاط الديني والعلمي والنفسي والطبي والتأهيلي مع الترفيه المناسب والرحلات الخلوية والدينية والتعليمية.

الأساليب التأهيلية:

يجب أن يكون للتأهيل التعليمي والعملية دوره في البرنامج اليومي، ويخطط بعدد الساعات المناسبة لكل جانح، ونوعية العمل الذي يقوم به ووضع خطة لكي يكون ذلك التأهيل وسيلة لاعادة بناء شخصية الجانح مع الاهتمام بدور المدرب المهني، وتدريبه حتى يكون العمل وسيلة من وسائل علاج الشخصية، والاهتمام كذلك بحوافز العمل الايجابية وزواج العمل السلبية كوسيلتين لدفع بناء الشخصية في الطريق السليم.

علاج الأسرة:

لقد ثبت أن ظاهرة جنوح الأحداث تكثر في المجتمعات التي تمرض فيها الأسرة وتنحرف عن وظيفتها الأصلية التربوية وتكثر فيها الأمراض الاجتماعية المختلفة، كالانفصال والشجار والطلاق والاندفاع بنوعيه اللفظي والجسمي، والقلق والتوتر والاكتئاب والادمان، كل ذلك وغيره يجب أن يعالج حتى تستقر الأسرة، ويرجع الجانح بعد علاجه الى الأسرة السوية التي تزيد وتعمق التحسن في شخصيته وتدفعه الى مزيد من النضوج.

وقد زاد الاهتمام بعلاج الأسرة وتكونت له مدارس حتى يكون اللبنة الأولى في المجتمع ذات الركيزة القوية المتينة التي تنبت ثماراً يانعة غير ذابلة أو مريضة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وليشخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾^(١).

دور المجتمع:

ثبت أن المجتمع يستطيع أن يلعب دوراً فاعلاً في علاج المشكلة، وفي مصر يتزايد في السنين الأخيرة نقصان الأحداث الجانحين يوماً بعد يوم، حتى أن دور المؤسسات التي بنيت

١ - سورة النساء. الآية: ٩.

لايوائهم أصبح معطلا تماماً في أماكن كثيرة، أغلقت أبواب بعض هذه المؤسسات، وذلك نتيجة نقصان الأيدي العاملة واحتياج المجتمع الملح لهذه الأيدي، وبدأ الاستعانة بالأحداث الجانحين يوماً بعد يوم، واستقروا في العمل نتيجة الحوافز العالية والحاجة اليهم وتناقص وجودهم في المجتمع، بعد أن قام هذا المجتمع بعمل ايجابي لعلاج مشكلتهم بادخالهم معه في ميادين الانتاج، بل إن أكثر الجهات قامت بدورة تدريبية لتعليمهم وادخالهم سريعاً الى حظيرة العمل فانتجوا، وكثيراً منهم ازداد انتاجهم الى درجات عالية، وحبذا لو قام المجتمع جنباً الى جنب مع هذا الدور بخفض جناحيه على هؤلاء الجانحين وتلقينهم وزيادة توعيتهم بالأخلاقيات بدور عملي وقدوة حسنة، عندئذ تكون هذه الظاهرة التي لاحظناها في السنين الأخيرة ظاهرة صحية جديدة في ميدان علاج الأحداث الجانحين، ويقوم بحث علمي متكامل لاستخلاص دور المجتمع بعد فحص دقيق لما تم في مصر.

وأخيراً.. يتضح مما تقدم أن المرض الاجتماعي الذي يصيب الأسرة يؤدي الى ظاهرة نشوء مشكلة الأحداث الجانحين وأن العلاج الاجتماعي له وزنه الكبير في علاج سبب المشكلة وكذا نعالج المشكلة نفسها.

ويبادر الى الذهن سؤال هام هو: هل من الأفضل أن

يكون العلاج في دور خاصة يحجز فيها الجانح أو يوجه العلاج الى المشكلة في المجتمع الخارجي؟
أعتقد أن ما تم في مصر من ظاهرة نقصان أعداد الأحداث الجانحين في السنين الأخيرة يضع حلا للسؤال، وأنه من الأفضل أن يقوم المجتمع بدور ايجابي في علاج المشكلة بعيداً عن الحجز وأن يلاحق القانون اصدار قراراته وقوانينه لايجاد العمل المناسب المجزي في المؤسسات المختلفة بحيث تكون هناك نسبة من الوظائف يعمل فيها هؤلاء الأحداث تحت اشراف اجتماعي وحوافز عملية ومادية تعيد استشارة التنبه عند الحدث في جو أخلاقي طبي نفسي متكامل.